

تبسمك في وجه أخيك.. صدقة



نقرأ في هدي النبوة أرقى تثقيف حضاري في التعامل الإنساني وفي صفحة المجتمع اليومية حين جعل الابتسامة صدقة، فجاء في تثقيف السلوك الإنساني هذا المقطع من مفاهيم الصدقة، فكان أخلاقيّة إنسانية سامية، وروحية مليئة بالحب والمودة لبناء العلاقات الاجتماعية.. إنها الحث على إشاعة السرور والابتسامة، وطلاقة الوجه عند الحديث مع الآخر، وعند استقبالهم والتعامل معهم في السوق والبيت ودوائر العمل وقاعة الدرس، وفي كل^٣ مجال يلتقي الناس فيه.. ليشعر الآخرين بالسرور به والرما بلقاءه، والاحترام له، والتعاطف معه.. إن^٤ الابتسامة تعبّر عن الحب، وعن الاستعداد النفسي والعاطفي لاستقبال الآخر.. إن^٥ ترجمة الابتسامة تعني: أني أُرحب بك وأحب لقاءك.. قد يلتقي بعض الناس مع من لهم حاجة عنده أو يتوقف إنجاز عملهم أو قضاياهم على مشاركته أو قراره أو إنجازه.. فيستقبل الناس بوجه كالح بائس، وبرؤية معقدة مقطبة.. تزرع الشك والريبة، وتشعر بالعداء والكراسية.. وال التربية الإسلامية ت يريد أن تصنع الوجه الباسم الوديع، الذي يخفف عن الناس آلامهم، ويذيل قلقهم ومخاوفهم، ويزرع في نفوسهم الشعور بالمحبة والاحترام.. لذا كانت الابتسامة صدقة، لاسيما للنفوس البائسة الواقعة على قضاياها وحواجزها المشروعة، أو التي تبحث عن العلاقة الإنسانية الكريمة في التعامل مع الآخر..

ويذكر كُتّاب السير أنَّ الرسول (ص) كان باسم الوجه، لا تفارق الابتسامة وجهه الكريم، بل ويذكر أيضًا أزْهَه (ص) ولد باسمًا بخلاف المواليد الآخرين.. فأنهم يولدون باكين، يتعالى صراخهم..

ثم يواصل الرسول (ص) توجيهه الثقافي والتربيوي الفريد في بناء الذات والمجتمع الإنساني وحشد المشاعر والعواطف النبيلة إلى جنب الجهد الطوعي لخدمة الآخرين والتعاطف معهم والدعوة إلى العمل الإصلاحي للنهوض بالمجتمع، والذوق الحضاري، وحماية البيئة وجمال الحياة..

لنقرأ النص النبوي الخالد كاملاً، ولنستجلِّي القيم الإنسانية السامية فيه..

قال (ص) : (٤٠ تبسمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعرفة ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرضِ الضلال ٤١ لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، ٤٢ وإنما طنك ٤٣ الحجر والشوكه والعظم عن الطريق لك صدقة، وإن فراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة) [1]

وهكذا يتسع مفهوم المدقة ليشمل إطلاق الابتسامة في وجوه الآخرين، والأمر بالمعرفة، وهو دعوة الناس إلى عمل الخير والإحسان، والالتزام بقيم الأخلاق وطاعة الرحمن، ومنع حدوث الفساد ومقاومة الباطل والسلوك المنحرف، فإنَّ كلَّ ذلك صدقة يثاب المرء عليها، إذ يعملها تطوعاً واحتساباً..

ومن عمل المعرفة والإحسان وارشاد من ضل طريقه، ولا يستطيع الاتجاه نحو مقصد مسيره.. في الطرقات البعيدة، وفي الشوارع والأحياء والبراري.. فتلك الخدمة الطوعية، وهذا الإرشاد الإنساني الخير اعتبره الرسول (ص) صدقة.. أمر بها وحث عليها.. بل ويدعو الرسول (ص) إلى إزالة الأذى عن الطريق.. إزالة الحجر والأوساخ والقاذورات والعوائق، وتلك الدعوة الحضارية تعبر لنا عن اهتمام الرسالة الإسلامية بالنظافة والجمال.. كما تعبَّر عن العناية بالآخر والاهتمام بالصالح العام والتجدد من الأنانية.. أن يتطلع الفرد لخدمة المجتمع، وتوفير راحتهم من غير مقابل مادي، أو اعتراف معنوي.. وفي التوجيه النبوي دعوة إلى إيجاد روح المشاركة في المنافع والتخلص من الاستئثار، وإن كانت تلك الدعوة مجسدة في بيئه المرحلة.. إذ كان الناس يستخرجون الماء من الآبار بالدلاء.. فملك التوجيه النبوي لا يحدد أثره بزمان أو مكان، بل هو دعوة إلى أن يحصل الجميع على المنافع.. وإن كان البعض قد حازها.. والرسول (ص) اعتبر هذا الإشراك صدقة لأنَّه معروفٌ، وتطوع بالعطاء من غير ثمن.. تلك هي الروح الأخلاقية والثقافية الحضارية التي تشع بها هذه التوجيهات النبوية الخالدة لبناء المجتمع المدني والإنساني المتعاون..

وردَّك السلام صدقة.. إشاعة التحية، تحية السلام في المجتمع تزرع المحبة والاحترام بين الناس، وتقربُ بين القلوب والآنفوس.. وتكسر حواجز التكبر والاستعلاء على الآخرين.. لذا كان ردَّ السلام صدقة.. والقرآن يدعو إلى أن يكون ردَّ التحية بأحسن منها.. أو بمثلها.. (وَإِذَا حُبِيْرٌ يَتُمْ بِتَهْبِيْةٍ فَحَبَيْرٌ وَبِأَحْسَانٍ مِنْهَا أَوْ رُدُّهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ حَسِيبًا) (النساء / 86) وعندما تتعالى النفوس ويملؤها التكبر، وتهمل الآخرين ولا تحترمهم حين يؤدون التحية، أو يردها بشكل مُزري، فإنَّ ذلك يعتبر حالة أخلاقية سيئة، تصور صاحبها بصورة بشعة مقيدة. إنَّ الصدقة يجب أن تؤدي باحترام وتقدير. ▶

[1] - المتقي الهندي/ كنز العمال، الحديث/ 16305.